مساحة في بلوتو

مجموعة قصصية

للكاتبة دلع شنّان

مساحة في بلوتو

دلع شنّان

في كلِّ مرّةٍ خذلني العالم فيها،
وجدتُ طيف الكتابة يلوح لي في
الأفق البعيدة، وينادي عليّ
ليعانقني..
وفي كلِّ لحظةٍ سكبتُ فيها دمعةٍ،
تزحلقت الأوراق تحت وجنتيّ
تتلقى الدّموع، وتُنشئ منها
سطوراً معجونة بالإبداعِ
المؤلم..
عند فرحي، وعند أملي، عند
أحلامي، وحزني، وبؤسي لم أجد
سوى القلم والكرّاس شاخصين
بالأحداث المتتاليّة بكلّ شغفٍ
واستمتاع..
دائماً ماكانت الكتابة صديقتي
الوفيّة، صديقتي الّتي لا تكلّ ولا
تملّ عن مساندتي، وتخفيف
أعبائي..
صديقتي الّتي كونت أفكاري،
وصنعت مشاعري، لخصّتها في
صفحاتٍ تعشقتها المشاعر..
استأنسُ بها في كلّ أوقاتي، عند
الجلوس وحدي، ومع رفاقي..
مع إشراقةِ الشّمسِ، و وقتَ
إغلاقِ ستار الليل..
في كلّ لحظاتي وتفاصيلي، كانت
الكتابة خيرُ أنيسٍ وصديق..



مساحة في بلوتو

مجموعة قصصيّة

للكاتبة دلع شنّان

مساحة في بلوتو

الكاتبة: دلع شنّان

هتلر بكلّ فتاةٍ تكتب

الإهداء:

-لكلِّ شخصٍ آمن بي، فلكَ نجاحي..

-لكلِّ صاحب رأيٍ سلبيّ بي، فهو سبب اندفاعي..

-عائلتي..

-كتفي الثّابت ميس، شام

-الجنديّ المجهول، الدّاعم الأساسيّ "أ.ك"

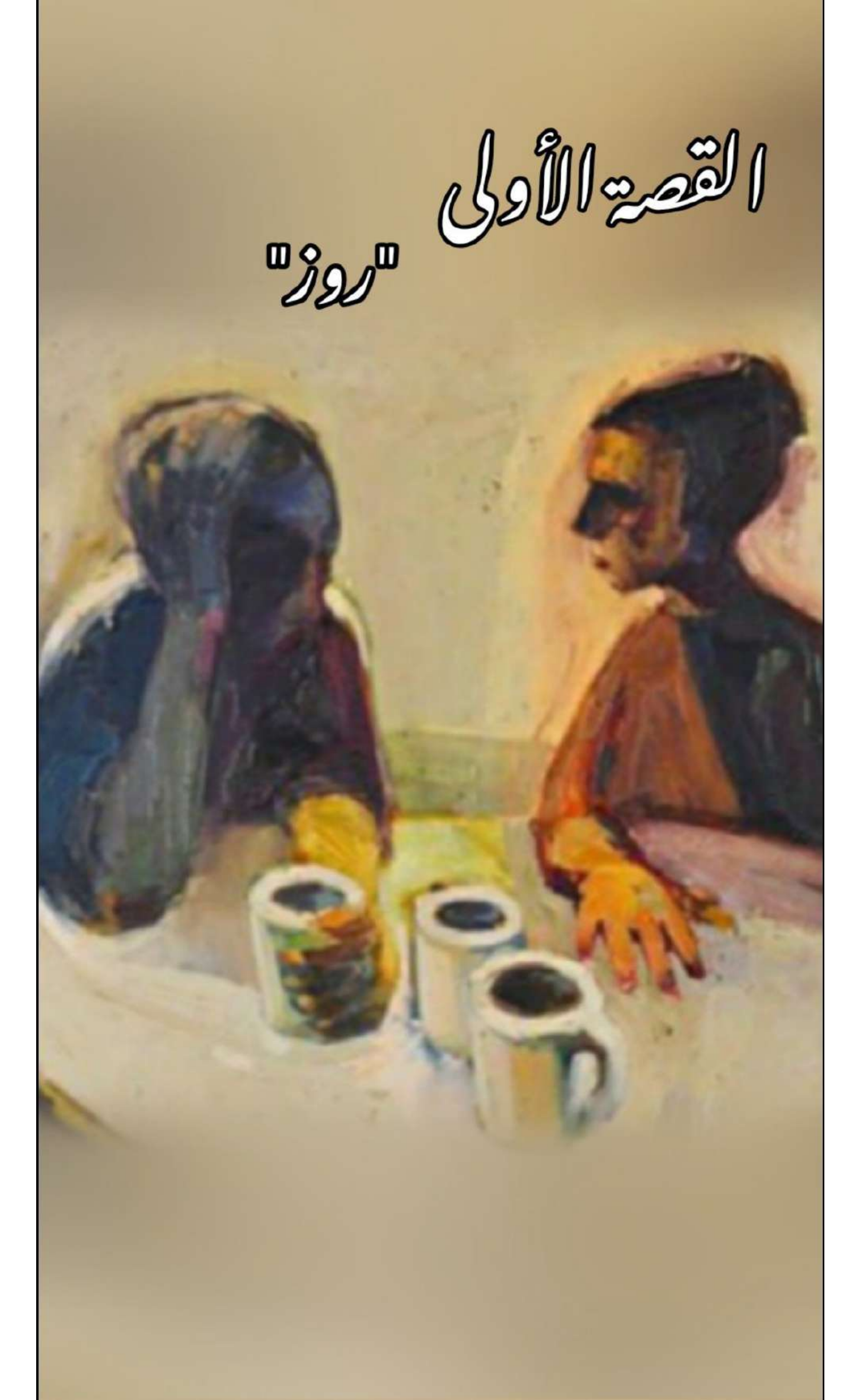
-كلّ من سيقرأ هذه الصّفحات أهديك انجازي هذا

التّمهيد:

في داخلي، صراخُ عجائزٍ في البّحرِ إن مالت بهم السّفينة، وبكاء أطفالِ المدينةِ في الحروب..
في داخلي ألفُ شخصيةٍ، وسبعون مليارِ دمعةٍ محبوسة..
لم يبقَ شيئاً من جسدي المتيبس، ولا من تلك المشاعر المحفوفةِ بالويل ..
لم يبقَ سوى نظراتٍ خائبة، خالية من الشّغف، ملتصقة بصراخٍ مكبوت تحت وسادة الجفنِ، الّذي بدمعِ دمّ عينٍ تلطخ..

إن المرء يشتهي الثّمرة المحرمة
اشتهاءاً مضاعفاً..

دوستويفسكي.....


القصة الأولى
"روز"

المقدمة:

نظرتُ بتوهانٍ..
الجدارُ يهتزّ وتلكَ الأُصوات لا تختفِ
من مسمعي..
لكنيّ اكتفيتُ فقط بتسكيرِ جفنيَّ
والإنصاتُ لها كأنّها موسيقى تُرقصُ
جدرانَ البيتِ على ألحانها.

بدأت القصّة عندما...

عندما انتقلتُ إلى هذهِ العمارة،
فاستأجرتُ فيها شقةً مهجورة منذُ ٣
سنوات..
ظننتُ أنَّ العمارة مسكونة لكن بعد
استقراري اكتشفت أنّها فارغة تماماً،سوى
بيتٍ واحدٍ بابهُ أمام بابي..!
لكن قلبي لم يأبه لهذا، فقد رتبت
أغراضي ورقدتُ في أحد الزّوايا، وبصحةِ
منزلي الجديد شربتُ النّبيذ ثمّ خلدتُ
للنّوم.

وسط أحلامي الورديّة، أصواتاً وهواجس تخترق مسمعي، تكسير زجاج، صراخ فتاةٍ، هلعت وانتفضت من نومي نظرت حولي لم أرَ شيئاً، لكن سمعتُ بكاءاً في المطبخ..

قلت لا بأس فلأنم قليلاً ربما هذه التّخيلات تراودني، لأنّني في ليلتي الأولى ضمنَ فراشٍ جديد..

الأصوات تزيد، تتعالى وتتغرسُ وسطَ غيوم هذا الليل الدّامس، لتمسك البرق وتجعله يضرب بقوةٍ ونحن في عزِّ آب!

في صباح اليوم التّالي استيقظت، وكأنّ جسدي متعرض لحادثٍ كلّه يؤلمني، وضعتُ القهوة على النّار، ودخلتُ لاستحم لكن أوقفتني طرقات الباب بشكلٍ خفيف..

ذهبتُ وفتحت، وإذ بفتاةٍ لم تتجاوز العشرين ألقت تحية الصّباح وعرفتني بنفسها: أنا جارتك في نفس الطّابق..

دخلت، وشربنا القهوة معاً تبادلنا
الأحاديث وعلمتُ منها أنّ والداها توفيا
في حادثِ سيارةٍ، ولها عمٌّ واحد لا يكترث
لأمرها، لذلك هيّ وحيدة.
ثمّ بعد ساعتين من تبادل الأحاديث
والإستمتاع بالوقت استأذنت وذهبت..
وانا التفتُ لترتيب ما تبقى من كركبةٍ في
زوايا هذا المنزل ..
رأيتُ بعض الأشياء المحطمة، والكتب
الّتي رتبتها سقطت أرضاً ..
أعدت وضعها من جديد وبعد ساعاتٍ
شاقة من العمل، والألم في جسدي بأكمله
دخلت للإستحمام
قلعتُ ملابسي، لأرى بُقعاً زرقاء تملأُ
جسمي وتؤلمني جداً، كأنّي كنتُ في
مشاجرة وسط حيٍّ من أحد الأحياء
الشّعبية.

استحممت واتصلت بصديقتي علّها
تأتي إليّ، وفعلاً لم تكذّب خبراً، أتت
وأخبرتها كلّ ماحصل من الأصوات إلى
التّكسير والخراب إلى جسدي وألمه
وبقعه، كشفت لها عن جسدي فلم ترَ
شيئاً وسألتني أين البقع؟
أشرت لها: هنا!
-لا يوجد شيء
نظرت لجسدي، تجمد دمّ عروقي،
فعلاً لقد اختفت!!
ياللهول هل جننت؟
ضحكت عليّ بشدّة وبدأت بالإستهزاء
ثم غادرت بعد شرب قهوتها..
ناديت جارتي روز لربما حدث معها
نفس الشّيء، فعلاً أتت وجلست معي،
تحادثنا فأخبرتها ..
لم تنصدم.. بل قالت:

-عادي موضوعُ عاديّ.. بيتُ جديد ريثما تهدأين تختفي هذه التّفاصيل بالكامل..
بقيتُ وسطَ شرودٍ دامس.. أتخبط وسط مخيلتي..
لتقاطعني روز وتروي لي:
أتعلمين أنّ هذا المنزل كان لي؟
تعجبت!
-نعم، عمي أخذه مني بالقوة، فاستأجرت المنزل ذاك لأبقى قريبة من آخر شيء متعلق بعائلتي الرّاحلة..
فسألتها: كيف استطاع عمّك أن يسلبك المنزل؟
فاختصرت الحديث: لقد تأخرت الوداع..
ذهبت روز...
ولم تعود صديقتي مرّة أخرى..
وأنا ليلة تلو الليلة نفس الأحداث ونفس الأصوات..

أهل ممكن روح والد ووالدة روز ساكنة
هذا البيت؟
لا أعرف هل جننت وبدأت أحلل وأفسر
أشياء غربية عجيبة؟
لكني في آخر فترة قد تأقلمت؛ انصت إلى
العويل وكأنّه موسيقى تركيّة ترقص جدران
وزجاج منزلي على ألحانها، وصوت
الصّراخ كألحان مايكل جاكسون..
وأنا بحدائق الليل المركونة أسفل مقلتيّ
والجنون الّذي بدأ يصيبني..
هذياني الشّديد أصمت وأتأمل وأسمع
فقط
مرّ شهر وفي كلّ يوم تأتي روز وتشرب
القهوة عندي ونتبادل الأحاديث..
واليوم وقت دفعِ الآجار، أحببت روز لا
أريد تركها، لكن الأصوات تزعجني
وترعبني جداً، فماذا أفعل هل أجدد أم
لا ..

أم أخبر المتوكل بأمور البيت بهذا..
بقيت أفكر حتّى قاطعني قرع الباب، وفعلاً إنّه المحامي الموكل اليه امور البيت..
فتحتُ له ودخل فبدأت بروي القصة له:أصوات كلّ يوم ترعبني بشدّة وبقع تظهر وتختفي من جسمي، وتكسير وبكاء وصراخ، حتّى أن جارتي روز أتت و...
-لحظة، أيّ جارةٍ تلك؟
-هذه الفتاة العشرينيّة تسكن هنا مقابلي تماماً!
- لكن البيت المقابل لك فارغ، العمارة كلها فارغة!
-كيف لا تعال معي، فتحت الباب وناديت: روز، روز. ونظرت له: ستأتي الآن شاهد فعلاً دخلت روز وقلت له بسخريّة: هذه هيّ
فزع الرّجل وقال: أين أنا لا أرى أحداً!

فأمسكتني روز وقالت: هو لا يراني، ولا أحد يراني، فقط من يسكن هذا البيت يعرف بوجودي، فعمي قتلني حتّى ورث المنزل وراثة شرعيّة وفي كلّ ليلةٍ نأتي ووالديّ ونحطم المنزل نبكي ونصرخ على ماحلّ بنا وكيف خسرنا كلّ شيءٍ بالظّلم والطّمع..

سيطر الإصفرار على وجهي، صرختُ وركضت بسرعةٍ، نزلتُ السّلالم وبدأت أركض وأركض وأركض ولا ينتهِ هذا السّلم اللعين.. أذكر أن منزلي كان في الطّابق الثّاني، لكنيّ نزلتُ خمسة عشر سلمٍ ولم أصل، مازلت أركض منذ زمن على السّلم ولم أصل ..

المحامي: ركضت عارية الأقدام، ذهبت
وراءها ونظرت فلم أجدها..
مرّ شهر ولا أعرف عنها شيء..
فبعت المنزل بطلب من أصحابه.

-أنا هنا..

في عالم روز..

ولا أستطيع الخروج..

أبداً

انتهت

ما نفعُ وردٍ على قبري يُنثر...؟


القصة الثّانية
"السّجين"

المقدمة .....
كانت تنهيدةُ صوتهِ يافعةٌ رغمَ تجاعيدِ
همومِ الحياة الظّاهرة على وجهه وهو
مازال في عقده الثّاني من العمر.
اثنان وعشرونَ عاماً، وسبعونَ ألف دهرٍ
ودهر، هذا عمره، ضحكته تعشقها الأسى،
فباتَ يبتسمُ ويخفي بجموحٍ تلك الدّمعة
داخل زنزانة مقلتيه.
أنا بخير، رددها في أذني مراتٌ عدّة، لكني
لم أُقتنع أنّ شخصاً في مثل مكانه قد
يزورهُ الخير والطّمأنينة البتة.
أرسلتُ له سترتي بعدما تعشقتها رائحتي
فكيف شعر؟
بعد عامٍ وعام وعشرةُ أشهرٍ وقرنٍ مع دهر
من حرماني عنه!
هل بعدما اشتمها رآني بقربهِ ألامسُ
وجنتيه بلطفٍ وأقول: أنا هنا لا داعي
للقلق؟

هل سمعَ صوتي فوق رأسهِ أداعبُ
شعرهِ وأُغني له حتّى يغفو؟
هل سمع شتائمي لقانون الأُرض
اللعين الّذي احتبسني داخلَ الحريّةِ
وقيّده داخل قفصٍ حديديّ؟
أشعر بأنّه يلمسُ كفيّ، لا بد من أنّه
يمسكُ أكمام السّترة، وأشعرُ برأسهِ
على صدري ربما لأنّه يضعها على
جسدهِ المتشقق أثرَ ضرباتِ عصاهم
اللعينة.
لكني الآن أشعرُ بألمٍ في ظهري، لا بد
أنّه عانق السّترة بشدة
أعلم أنّه مشتاق لي....
ليت أطرافَ الأرضِ تُطوى فنلتقي..

《 الفصل الاول 》

١٢/٥/٢٠٢١

ذلك اليوم المشؤوم "لاعلاقة لي، لا علاقة لي"
سمعتها في حلمٍ راودني، شعرتُ بعرقي يسيل على جسدي، كأنَّ كابوساً داهمني، استهديتُ بالله العظيم، وقمتُ أمشي بتخبطٍ داخلَ جدران غرفتي مطأطأة رأسي بتلبكٍ وتوتر، يداي قد كرّبها شيئاً ما وشعرت أنّ أحدهم ينظر لي نظرة وداع أخير من خلفِ بلور النّافذة، كأنّه يودّعني ركضتُ فلم أجد أحداً...
شهرُ وأربعة عشرَ يوم بعدَ هذه الليلة، وأنا بلا سبب، اتألم في كافةِ أنحاء جسدي، وأرى بُقعاً تظهرُ على جلدي دون سبب كنت قد تعودت على هذه البقع تظهر بعد الضّرب المبرح

الّذي يناولني إياه والدي، لكن هذه
المرة والدي مسافر، فلماذا أرى اللون
الأزرق يندمج مع بشرتي الثّلجيّة؟
لم أحبّ اللون الأزرق في حياتي ابداً،
ولا أظن أنّ الله يستفزني بإظهارِ لونٍ
كهذا على جسدي فلماذا؟

"ضريبةُ دفعِ آجار"
كنتُ قد انفصلتُ من عملي مؤخراً، وباتت ديوني كثيرة، والمطالبون أكثر..
فقررتُ ترتيبَ أغراضي والرّحيل من هذا البيت الباهظ إلى بيتٍ أخف العبئ قليلاً.
وفعلاً انتقلتُ خلال أُسبوعٍ إلى بيتٍ جديد رتبتُ كلّ شيء إلا أصعب شيء..
أوراقي ودفاتري الكثيرة ..
لدى الكاتب عادة، تارةً مرهقة..
تارة مفيدة..
"التّدوين" الكاتب يدوّن كلّ الأحداث المميزة في حياته..
وهذا ما يجعله صاحب أكبر عدد من الأوراق والدّفاتر في العالم..
صفحة تلو الأخرى، ذكريات تضحكني، وفجأة تبكيني حتّى توقف الزّمن بي عند أحد صفحات الدّفتر:

" راودني اليوم حلماً غريباً مزّق قلبي
واعتصره، أشعر بعرقٍ يسيل ومازلت
أتخبط داخل الغرفةِ كالموتور.."
قلبتُ إلى التّالية..
"لا أعلم ما الّذي يحدث لجسدي بات
مليييء بالبقع الزّرقاء دون أسباب"
شعرت لوهلةٍ بنفس شعور تلك الليلة،
تجمد قلبي وأصابني شرود دامس
بالجدار، لربما بقيت عليه ساعات، حتّى
قاطعني أحدهم برنّ الجرس.
تخبطت قليلاً ثمّ أدركت بأنّه يجب عليّ
فتح الباب
ذهبت مسرعة، بشحوبِ وجهي ركلت
الطّاولة، واصطدمت بالصّناديق
المركونة في الأرض، تدعثرتُ ألفَ مرّة
في مساحة ٧ أمتار..
فتحتُ الباب...
وإذ بفتاةٍ لطيفة، ترتدي حجاباً رمادياً
ونظارة مدورة،

قصيرة القامة، وتحمل بيدها هاتفها وقطعتين من الشّوكلاتة :مرحباً أنت جارة جديدة في الحيّ؟

-أأ.. أهلاً .. نعم نعم اليوم انتقلت.

-أحببت التّعرف لك إن كان الوقت يناسبك؟

-ططططبعاً ت تفضلي..

انصدمت الفتاة قليلاً بتلعثمي بالحديث، لكنها دخلت بهدوء جلست وعرّفتني باسمها "عُلا"

وبدأت تخبرني عن فلان وفلانة وهذا وتلك وأصدقائها وكم تحبهم ..

حتّى أوقفني اسمٌ جعل دمّ قلبي يفور ويعود " أحمد" لا أعلم، لقد شعرت أن هذا الإنسان شيئاً ما يخصني، قالت إنّ شكلي يشبهه قليلاً، لكني لا أملك أقارب بهذا الاسم!

يا للهول ما الّذي يحدث لي هذه الفترة؟

أظن نفسي ارتبكت بسبب فقداني لابن
عمي "علي"..
بعد غيابه أُصبحت أربط كل حدثٍ وكلّ
شخصٍ به، لربما ألقاه وأجده بعد
اختفاءه المفاجئ..
شربنا القهوة ورحلت "عُلا" تناسيت
ماحل ودخلت أكمل ترتيب البيت ثمّ في
سباتٍ عميق ..

《 "الفصل الثالث" 》

اتصلت عُلا بي، و دعتني إلى حديقةٍ قريبة من المنزل، قالت بأنّ أصدقائها سيجتمعون وتريد أن أتعرف بهم، وفعلاً ذهبت، وكم كانوا لطفاء..

لكن وجه أحدهم أشعر بأنّه مألوف: هادي، من أي بلادٍ أنت؟

هادي: أسكن بالشام

أمل: بما أن المجموعة ناقصة ٣ أفراد سأُريك صورهم ما رأيك؟

هززت رأسي لها موافقة

أمل: هذا الشّاب اسمه مجد لكنه الآن مسافرُ في بلاده

"بدأ قلبي ينبض بقوة وأنفاسي تضيق"

وهذا عرين سُجن في تاريخِ ١٢/٥/٢٠٢١ اي منذ أكثر من سنة قُبض عليه، وكان هادي موجوداً حينها، وشاهد الحادثة الأصعب في حياتنا جميعاً..

"أُردفت حديثها بدموعٍ مسحتها فوراً"

والثّالث أحمد، أسفاً لا أملك صورةً له..
تبادلنا الأحاديث أحببتهم جداً، شعرت وكأنّي أعرفهم منذ زمن طويل.
وفي يومي التّالي كنت أغلي القهوة فتذكرت قولاً: أيار..

١٢/٥/٢٠٢١....

الحلم...
عرين.....
بقع زرقاء....
اتصلت بهادي وعُلا وطلبت منهما المجيء..
هادي: ما بك؟
-أريد معرفة تفاصيل يوم حادثة عرين!
هادي: لقد كنا وعرين في عملنا، عندما اقتحمت دوريّة الأمن المكان وأمسكت به فبدأ بصراخه: لا علاقة لي لا علاقة لي، فقد كان مظلوماً وكنت أنظر له وأناديه بحرقةٍ وألم، وضعوه في سيارةٍ فنظر إلي من

بلورها وكأنّه يودّعني، ويقول لي انتبه على نفسك يا أخي
وبدأ هادي ببكاءه بألمٍ على فراق صديقه..
فنظرت له وقلت لحظة ..
ركضت وجلبت دفتر مذكراتي وفتحت على تاريخ ١٢/٥/٢٠٢١ وقلت انظر..
عندما قرأ الصّفحة جنّ جنونه وقال ماهذا!!!!
قلت له لا أعرف، وعندما أكمل الصّفحه التّالية نظر إليّ وقال: فعلاً عرين كان حينها داخل تحقيق فرعٍ ظالمٍ، جعل للعنفِ أهم ركن من أركان التّحقيق..
قلت: مكان كلّ ضربة تناولها جسده، بقعة زرقاء على جسدي لمدةِ شهرٍ وأربعة عشر يوماً
صُرِعَ هادي، وحَزِمَ على إخبار أحمد بهذا..
وأنا قلبي يخفق بقوة واتفقنا على زيارته..

《 الفصل الرابع 》

ظننت أن شعوري بهذا الشّاب، و صدفة تعرّفي بأصدقاءه، تعني بأنّي وجدتُ حبّي الحقيقي، لم أكن أعرف أنّه طريقي لعثوري على قدري الحقيقي، وقطعة قلبي المفقودة منذ زمن..

ذهبنا للقصر العدلي وقدمنا بطلبٍ لرؤية عرين.. ذهبت وتعرفت به، وتبادلنا الأحاديث، أصبحت عادة لي أن أكرر زيارتي له في كلّ خميس..

خميس تلو الآخر، وأنا أشعر بأنَّ هناك حلقة مفقودة، لم أجد حلّها إلا عندما قال عرين: كنيتك تشبه كنية سجين معي هنا..

بضحكةٍ خفيفة: أحقاً، وما اسمه؟

-علي..

-ماذا؟؟

-مابك؟

-هل هو طويل القامة نحيف البنية؟

- أجل نعم هو كذلك، صديقي ونناديه باسم أحمد

-لطمت وجنتيّ وقلت: تكذب تكذب أريد أن أراه

-ياجميلة، انتظري للخميس القادم فهذه القوانين!

رحلت من هناك بتخبط بين اليمين والشّمال، بسورٍ من هنا وشرطي من هناك..

ليلُ تلو نهار تلو ليل يليه نهار والنّوم لم أذقه حتّى يأتي الخميس ..

وأتى..

ذهبت..

وكانت المرة الأولى الّتي اتأمل فيها هذا السّجن القاهر، سوره العالي الشّوكي، بوابةٌ فولاذيّة يصعب للهواء المرور عبره..

أناسُ سرقت البهجة من وجوههم، بسجن أولادهم، أزواجهم، آبائهم..

وهناك حارس يختم على أيديّ الزّوار، انتفض قلبي عندما نادوا باسم علي،

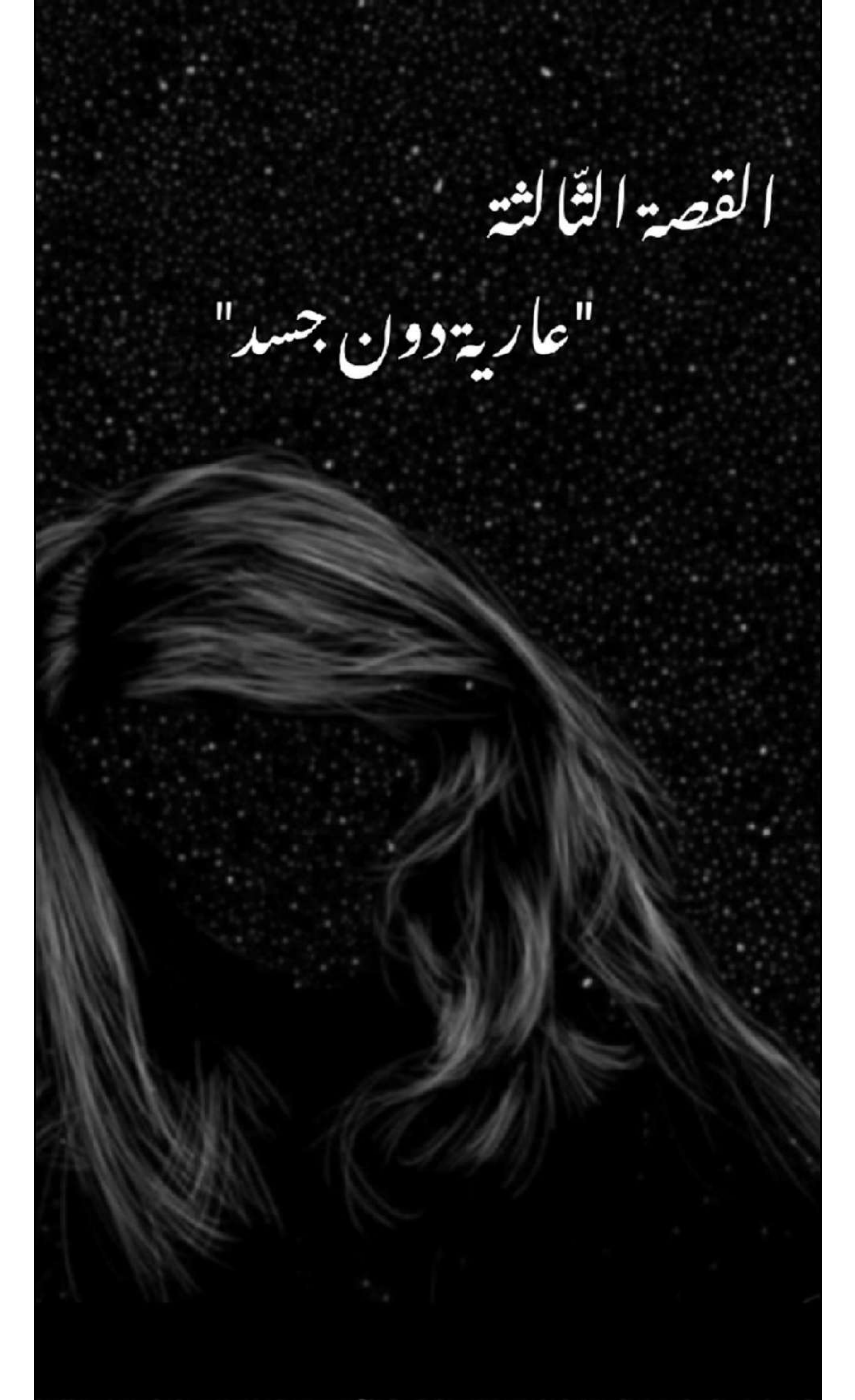
حان دوره ركضت فتشتني الشّرطية دون أن أشعر، فقط انظر كم من درج عليّ الصّعود، كم من سور عليّ الإجتياز..
وبدأت اصعد وأركض واجتاز الباّحات، سلم تلو السّلم حتّى وصلت..
وخلف الشّبك بدأت انظر لأوجه المساجين لا أحد هو.. ألم يأتِ؟ أم ليس بابن عمي المفقود منذ زمن؟
استسلمت وسندتُ ظهري للحائط..
لم أجده..
وفجأة..
شابُ فارع القامة، نحيف البنية ضحكته ممزوجة بالأسى والتّجاعيد تأكل من وجهه القليل، انتصب أمامي: كنت أتوقع كل شيء إلا حضورك يا صغيرة!
-كنت أتوقع كل شيء إلا أن تكون هنا يا كبدي!
لم يكن حبّاً ولا شعوراً به ..
بل كانت قطعة من صدري مركونة إلى جانبه..

صديق طفولتي ودمّي كان معه، وكان هو
طريقي الوحيد للوصول إليه.
خلف قضبان تلك الزّنزانة المظلمة،
رُكنت قطعة مني، شُلعت من منتصفي
ورُميت خلف الزّرد الفولاذيّ المبهم.
سياج أخرق حرمني منك، جعلني
ألمسك فقط في الأحلام، اشتم رائحتك
المطلية بالصّدأ خلف هذا القفص.
كالموتورة أحوم حول نفسي ناسية عنان
الحياة، عانية، ساخطة، أرقد كاليتيمة
المجهضة على إحدى العتبات.
ظاهرة تلك اللفافة الرّقيقة من الدّموع
المتحجرة في مقلتيّ..
ألعن قانون الأرض الأخرق الّذي رماك
كالسّهل الممتنع عشرات الأمتار بيني
وبينك، لكن يستحيل لمسك سوى خلف
شبكٍ لعين!

فقدنا بعضنا وسط زحام بلدنا..
لنلتقي وبيننا شبك ومئات الأدراج
والأسوار، في مدينة لا نعرف عنها شيء..

انتهت

"ذنبهُ عظيم عند الله، من أطفئ وهج الحياة في عين إنسان كانت أيامُه على ما يُرام."


القصة الثّالثة
"عارية دون جسد"

المقدمة

عندما تتناطح الحيوانات المنويّة لتقتل بعضها، وتفوز إحداها فتتشكل على هيئتك، أريد منك أن لا تظن نفسك محظوظ، فأنت لم تخرج في هذه العمليّة، بل أنت سقطت في الجحر الدنيويّ..

عليك أن تعلم أنّ ما حدث معك هو سوء حظّ، فوزك في تلك اللحظة، كان تعاسة لك..

لقد تشكلت على هيئة إنسان، قريباً لتسقط في الغمّ الكونيّ، و تبدأ حروباً منذ أول يوم وحتّى آخر يوم..

لا تقل لمَ!

فمجتمعك وكونك وعالمك وبلدك، هم من يقررون تراتيب أحداث حياتك ويفصّلونها على قياس يناسبهم لا يناسبك..

《 الفصل الأول 》

ركضت بين الأرصفة، وسطَ زحمة الشّوارع، في بلدٍ لعينٍ لا تعرف منه سوى ابنتها الّتي جاءت خاشعة لخدمةِ العلم..
جاءت مهرولة، دمعها مدموج مع المطر، وبعضاً من الطّين يرتكزُ على ثوبها من الأسفل، تحمل حقيبةً سوداء مهترئة..
بحجابها الأسود تُغطي وجهها من ريحِ الشّتاء القارص، وبيدها الثّانية تجرُّ ابنتها الصّغيرة الغير فاهمة شيء، تركض لتلحق بخطواتِ أمّها، فتمسحُ المطر عن وجهها بكمِّ سترتها وتجلّسُ قبعتها، ثمّ تعاود التّشبث جيداً بوالدتها..
كنتُ قد رأيتُ هذا المشهد منذُ ساعاتٍ وسط السّكن الجامعي، فكنتُ منتهية من دوام الجامعة وعائدة لوحدتي السّكنية، لم أكترث للموضوع كثيراً..
ومساءاً بينما كنتُ أجمع الأطباق والأكواب لغسلها،

سمعتُ صوتَ امرأة في الجناح ينادي
باسم "ساجدة"..
وفي صوتها بحة أسى ممزوجة بالحزنِ:
ساجدة
فتحت باب الغرفة وإذ بهذه الخالة الّتي
ظهرت أمامي صباحاً، انصدمت قليلاً،
غرستُ يديّ بجيوبي ومشيتُ رويداً
رويداً تجاهها ..
-مرحبا يا خالة
-أهلا
-شوفي!
- بنتي بنتي
-شو بها بنتك يا خالة؟
-بنتي ضايعة واسمها ساجدة بتعرفيها؟
-لا والله ياخالة بهالجناح كلو مافي بنت
اسمها ساجدة!
-يالله يالله
-اتصلتوا بهاتفها؟

-إله اسبوع مسكر ومابعرفلها رفيقة، ولا رقم غرفة ولا بعرف بأي بناء بهالسكن الكبير..

-إلها أُسبوع مفقودة!

-أي والله يا بنتي وأنا من الصبح عم أدور بكلّ السّكن غرفة غرفة لأعرف بنتي وينها!

عدّت خطوتين للوراء وتشبثت بالجدار، انزلقت على الأرض بخفة خافية رأسي بين ركبتي، أهذي وأتخيل والدتي مكان هذه المرأة ..

دخلت بحالةٍ يُرثى لها!

أين هذه الفتاة؟

هل حدث لأمرها شيء؟

أم أنّها ذهبت مع شخصٍ ما ..

كم ستكون ساقطة لو أنّها فاعلة لشيءٍ كهذا!

يا الله ما أصعب الشّعور، يا الله كن مع هذه الأمّ،

تناسيت الموضوع وخلدتُ للنَوم، لكن
القصة لم تفارق عقلي..
بل بقيت متشبثة على جدار مخَي رافضة
الرَحيل،
كلما مررت من الجناح أتذكر وقفة الأمَ
المنهارة..
وكلما مررت من طريق الذَهاب للدَوام
تذكرت شكلها ودمعها المخلوط
بالكسرة..
لم يكن لديَ الجرأة الكافية للسؤال عن
"ساجدة المفقودة"
الهروب كان السَبيل الوحيد للنجاة..
لكني لستُ مقتنعة أنَه سبيل للحياة ..
فأينَ ساجدة؟
ساجدة كانت موجودة لا موجودة..
ساجدة كانت عاريَة لكنها دون جسد ..
عاريَة بروحٍ ممزقة ..

《 الفصل الثاني 》

في الطّرف الثّاني من القصة؛

تجلس إحداهنَ على أطراف الجنة، حرفُ تُركي نفسها عليه، وتمدّ رجليها وتلعب بهما ذهاباً إياباً كالأُرجوحة..

ترتدي فستاناً أزرقاً كاشفاً وتسدل شعرها الخرنوبيّ فوق ظهرها، تضع يدها الرقيقة فوق الحرف، والأخرى تمسح وجنتيها الورديتين بها، وجنتيها الممتلأة بالدّموع الدّمويّة..

أنا ساجدة، ساجدة المُقهقرة..

الجالسة الآن لا أدري إن كنتُ من أهل الجنة أم الجحيم!

فقد انتحرت..

رميتُ نفسي من أعلى سطح موجود في أحد الأحياء النائيّة..

اقسم أنني لم انتحر في سبيل الحبّ، ولا الخيانة، ولا الفشل الدّراسي..

انتحرت بسبب مجتمع شرقيّ ذكوريّ..

لقد استسلمت أثر الظّلم المندس في حياتي، أثر إغتصابٍ لطّخ اسم والدي الّذي لم يقدّر أن لا ذنب لي، بل اقسمَ بأنّه سيقتلني ويمزق جسدي إرباً إرباً..
واللهِ أنَّ ما حدث ليس بإرادتي..
فقط كنت آتية من عملي الّذي يسند عبء مصاريفي الجامعيّة بظلّ ظروف أبي الصّعبة، كان مطر غزير، ظننت يومها أن الله يغسل عار البشريّة..
غرزيده في سترتي الجلديّة وشدّني بين يديه صرخت وناديت لكن أُحد لم يسمع..
فعل فعلته ورماني إلى جانب أُحد الطّرقات..
فما ذنبي انا؟
ما ذنبي، أنّي سقطتُ وسط مجتمع جشع، شهوانيّ، تغلبه الغريزة وتشده..
ما ذنبي وسط مجتمع شرقيّ مُعقد يرى المرأة جسد فقط..
يا إلهي هل أدخل الجنة أم الجحيم؟

افهمني يا إلهي لو بقيتُ حيّة لما رحمتني البشريّة، فجميعهم كانوا سيضعون عارهم على ظهري، وكنت قُتلت أمام عين أمّي وإخوتي، فأبقى حرقة دائمة في قلوبهم..

اخترت الإنتحار مُجبرة كما جُبرت على إغتصابي..
فهل ادخل الجنة ام النار.!

انتهت

أُسوأ عدو للإنسان...

نفسه..



القصة الرّابعة

"مُتلازمة القرين"

قد تأقلمتُ مع متلازمة الخوف،
أصبحت شرياناً ملتصقاً بأبهري، مقترناً
بالوتين.
لا أريد أن أكتب لكم عن محيطي ولا
شكلي، ولا عن رأيي تجاه ما يحدث، لا
أريد أن أستخدم ألفاظ قبيحة.
لكن؛
يرتجف جسدي، يخفق قلبي بقوة، حتّى
رموش عينيَ ثقيلة عليَ في هذه
اللحظة تماماً الّتي يصبّ بها الظّلام.
أُصبح كلّ الآوان الّذي فات، وإن سُئل
عني، يُقال من الأموات.
عتمة الليل الباهت، المحمل بغيوم
كثيفة غير واضحة وسط الليل المبهم،
قد يظهر من بينها جنية تحقيق
الأمنيات، أو ربما ذلك القرين الّذي ما
زال يلاحقني منذ سنوات عدّة.

ظهر لي، مرّة، مرّتين، ثلاث...
يلتصق بظهري، ينفث أنفاسه على عنقي حتّى أصرخ وأبدأ بالهرولة نحو زر الضّوء لأشعله فلا أجد شيء.
حقاً إنّ النّور حلّ لجميع مصاعب الحياة، أمسح عرقي، وأعيد عقد ربطة شعري، رشفة من الماء، قد تعيدني إلى صوابي.
تضخم الأمر حتّى أصبحت أصرخ لأمّي تقف بجانب زرّ الضّوء، لأكمر نفسي بالغطاء، ثمّ تطفئه.
أحياناً أنام والضّوء مشتعل.
بدأت اتأقلم، ولا أفزع عند شعوري به، في كلّ يوم متأكدة من حضوره ووجوده..
دعيته مرّات لشرب الشّاي معاً، ومرّة للعشاء، قرأت له قصصاً حتّى يغفو، أخبرته عن أسراري، وما يحزنني،

تحادثنا وعلمت أنّه لن يتركني وشأني،
لذلك قررت الإنسجام معه، وبدأت
انتظره في كلّ ليلة..
ربما أُصبت بالجنون..
او ربما، أصبت بمتلازمة القرين..

انتهت

إسمي يجفّ
ويتقشّر
منذُ أن توقفت
عن مُناداتي!

القصة الخامسة

حنظل غيابك



-المحطة الأولى
إلى حلب .....
٣:٤٥ ظهراً
طريق حماة، بإتجاه حلب
اقتربَ الوصول..
صعوبةُ بالتّنفسِ، وقلبُ يتخبط داخلَ
جدران صدري، بصعوبةٍ التقطه، عينيّ
تتجول في المكان بسرعةٍ رهيبة، اضغطُ
كف يدي فيتخرم بأظافري، أشعرُ وكأنها
المرّةُ الأولى الّتي اذهب فيها نحو حلب..
حلب كانت دائماً وجهتي الأساسية..
لكن الفارق الوحيد أنك موجود هناك..
تنتظرني، على قارعة الطّريق، تذرفُ
عرقك وتقلعه عن جبينك تشتم طول
الوقت، تحسبُ كم بقي من الدّقائق،
الثّواني والسّاعات على وصولي هناك.
أعاود المحاولة على التّنفس لكني أفشل،

أكمر نفسي وأحاول النّوم فأراك منتصباً
تنادي علي لأخترق صدرك والاستكنان في
بيتي ومكاني .
أعود لتوتري وحالتي المليئة بالكركبة.
لأصل وانغرس وسطك.

-المحطة الثّانية
ادلب..
٤:٣٠م
ساعة واحد تفصلني عن الوصول إلى يديك، ساعة، عندها سيكون كلّ العالم بين كفيّ، سأُمسي أسعد إنسانة على وجه الأرض..
ساعة واحد فقط..
تخيلتك الآن، ماذا ترتدي، ما لون قميصك وأي حذاء تنتعل
ماذا ستفعل عندما تراني؟
كيف وجهك وتعاليمه؟
تخيلت كلّ شيء مع ابتسامةٍ رقيقة لم تفارق ثغري كلّ الطّريق..
عدّت بالزّمن خطوتين للوراء..
عندما جئت للمرّة الأولى، كمّ كنت كارهة مكتئبة من هذه الرّحلة، بقيت مرّات أذهب وأعود بأسى، حتّى تعرّفت بك، أصبحت حلب مقصدي وسبيلي..

كنت أظن أنّ كلّ الطّرق تؤدي إلى روما؛
لكن بعدك، اكتشفت أنَّ كلّ الطّرق تؤدي
إلى حلب..
حلب وحسب..
بفارغ الصّبر انتظر أن نصل فارتمي بين
ذراعيك..
أتوه في رائحتك وبين أضلاعك..
أستكن أنا وقلبي وسط جحرك اليساريّ
المظلم..

-المحطة الثالثة
حلب
٥:٣٠م
وصلت، بسرعة البرق نزلت إلى الرّصيف الّذي اعتدتُ أن أجدك تنتظرني على قارعته، التفت حولي جيداً نظرت بكلّ الإتجاهات، لم أراك، بالتأكيد متأخر بسبب الزّحمة.
قررت الإتصال بك: "إنّ الرّقم المطلوب خارج نطاق التّغطيّة.."
إذاً سأسبقك لمنزلنا وأحضر المائدة، أخذت تاكسي وذهبت، لكن ما صدمني أنّ بيتنا كان مهجوراً وكأنه وحيد منذ مئة عام..
جلست على العتبة بتعبٍ وارهاق..
تركت حقائبي ونزلت الشّارع..
هنا جلسنا، هنا أكلنا..
هنا تخاصمنا وهنا عدّنا..
هنا ذكرياتنا..
بكيت بحرقة لأنّك غير موجود..

أنا أنتظرك منذ ثلاث سنوات!
أتعلم أنّ غيابك كالحنظل!
لا أستطيع تقبل أنك لن تعود مرّة أخرى!
أشتقت إليك بقدر مرارة إنتظاري، ولهفتي لرؤيتك في كلّ مرّة تهبط قدماي في حلب..

"قبّلت تلك العاشقة شاهدة على سرداب مليء بالزّهور، قرأت الفاتحة على روح حبيبها الّذي فارق الحياة منذ ثلاث سنوات، ثمّ رحلت..."

انتهت

شكر خاص

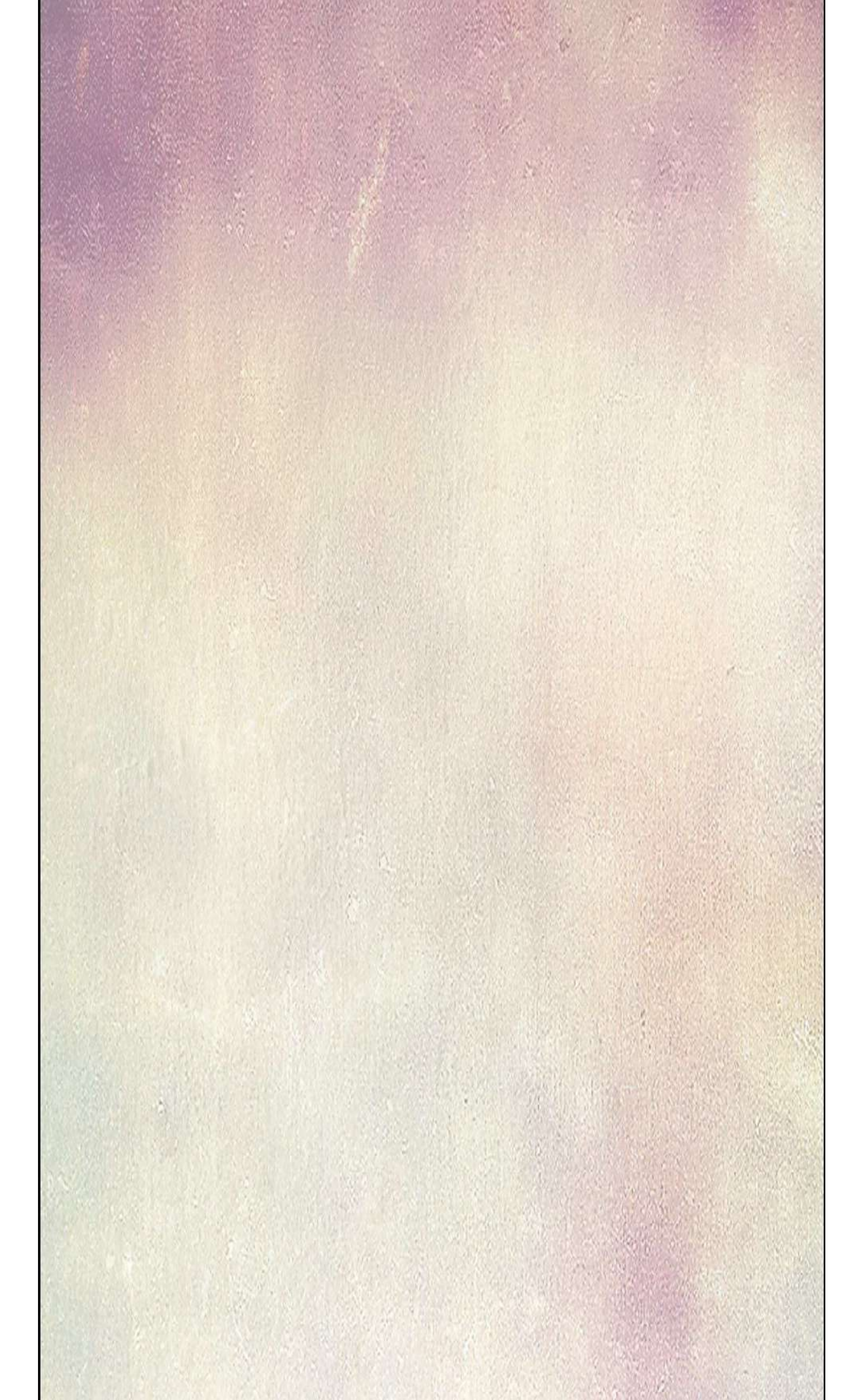
لكلّ من دعمني حتّى وصلت لهذه المرحلة..
لكلّ من آمن بي حتّى أنجزت هذا الكتاب..
لكلّ من ساعد ومنح لي رأي وملاحظة في مسيرتي..
لكلّ من لقبته بقدوتي..
لكلّ شخص سيقرأ هذا الكتاب إن أعجبه أو لا..
شكراً لكلّ من منح صفحاتي وقتاً..

من أعمال الكاتبة

كتاب أيلوليّة الهوى...

كتاب مساحة في بلوتو...

الفهرس





في كلِّ مرّةٍ خذلني العالم فيها،
وجدتُ طيف الكتابة يلوح لي في
الأفق البعيدة، وينادي عليّ
ليعانقني..
وفي كلِّ لحظةٍ سكبتُ فيها دمعةٍ،
تزحلقت الأوراق تحت وجنتيّ
تتلقى الدّموع، وتُنشئ منها
سطوراً معجونة بالإبداعِ
المؤلم..
عند فرحي، وعند أملي، عند
أحلامي، وحزني، وبؤسي لم أجد
سوى القلم والكرّاس شاخصين
بالأحداث المتتاليّة بكلّ شغفٍ
واستمتاع..
دائماً ماكانت الكتابة صديقتي
الوفيّة، صديقتي الّتي لا تكلّ ولا
تملّ عن مساندتي، وتخفيف
أعبائي..
صديقتي الّتي كونت أفكاري،
وصنعت مشاعري، لخصّتها في
صفحاتٍ تعشقتها المشاعر..
استأنسُ بها في كلّ أوقاتي، عند
الجلوس وحدي، ومع رفاقي..
مع إشراقةِ الشّمسِ، و وقتَ
إغلاقِ ستار الليل..
في كلّ لحظاتي وتفاصيلي، كانت
الكتابة خيرُ أنيسٍ وصديق..